

تجارب شخصية في الترجمة

خيرى علي عبد الله الجبورى (*)

الترجمة: فن التواصل الإنساني بين البشر، وأحد أهم المهن التي جعلت العالم قرية يعيش فيها الناس بتقارب وسلام وتطور. ساهمت الترجمة في نشر ونقل العلوم والفنون وكل مظاهر الحياة، وهي أول واسطة ساهمت في بناء الحضارات، ووقف الصراعات والحروب بجهود جبارة من قبل مترجمين أفنوا حياتهم في هذا العمل منذ بدء الخليقة؛ لأن الإنسان يتحرك طلباً للعيش والعمل والقوة والسيطرة على الأراضي والدول حيث قامت الحضارات المختلفة.

بدأت الترجمة بلغة الإشارة إلى الأشياء وتسميتها بدون تدوين، ثم واكبت بناء الدول والثغور، وأمست الحاجة إلى ضرورة التدوين مع ظهور الدول، وكان المترجمون الأوائل مقربين للسلطات، ولديهم أسرار كثيرة، وكانوا متنورين ذهنياً معتمدين على ذاكرتهم في الحفظ، كما أن الحياة كانت بسيطة ولولاهم لما انتشرت العلوم والفنون وغيرها. وقد دفعوا حياتهم في هذه المهنة خوفاً من نشر الأسرار وغيرها.

(*) مترجم عراقي، درس هندسة الطيران في روسيا.

بداياتي مع الترجمة

دروس اللغة الانجليزية في المرحلة المتوسطة تُعتبر أحد أسباب فشل الكثير من الطلاب والغالبية يكرهونها لأسباب عدة، حيث لا يوجد في المجتمع العراقي إلا ما ندر ممن يجيد اللغة الإنجليزية بما فيهم كبار السن الذين عاصروا الإنجليز وعملوا معهم عند احتلالهم للعراق في عشرينات القرن الماضي، على العكس تماماً من إخواننا في المغرب العربي الذين يجيدون الفرنسية وغيرها.

الصف الأول متوسط كان محطة انتقال للطلاب والجميع خائفون منه بسبب اللغة الإنجليزية. في الدرس الأول للغة الإنجليزية كان المدرس شخصية محبوبة ومظهره جيد، قال: هل أنتم خائفون من درس الإنجليزي، قلنا: نعم، قال: الإنجليزية هي لغة العلم والعمل والعالم والذي يفشل فيها تضيع عليه فرص الدراسة في الكليات العلمية المرموقة وعليه أنصحكم بالتركيز وتناسي ما سمعتموه.

كلام الأستاذ كان محفزاً لي بأنه توجد فرصة لتجاوز اللغة الإنجليزية، في أول امتحان قواعد في اللغة الإنجليزية جلب الأستاذ نتائج الامتحان ونادى على طالبين كنت أحدهما ثم قال: صفقوا لهما، حصلوا على درجة كاملة. ومن خلال الدروس سألت الأستاذ كيف أتجاوز الخوف من الدرس؟ قال لي: اشترِ قاموس إنجليزي عربي وكل يوم أو أسبوع أو حتى شهر احفظ كلمات جديدة ليس كثيراً ولكن بقدر ما تستوعبها وأيام العطل شاهد الأفلام الأجنبية... اشترت القاموس وفعلاً قبل النوم أتصفح وأسجل كلمات جديدة شائعة في العربية ومعناها بالإنجليزية وأحفظها وأترجم موضوع الدرس ولله الحمد تجاوزت مسألة كره اللغة الإنجليزية واكتشفت سر النفور من الإنجليزية وهو ببساطة أن الطلبة لا يستوعبون كل موضوع الدرس بل يكتفون بما يشير إليه الأستاذ ولا يحفظون كلمات جديدة.

وشاءت إرادة الله أن أنهي المرحلة الإعدادية بتفوق، ويظهر اسمي ضمن طلاب البعثات خارج العراق إلى روسيا لدراسة هندسة الطيران.

أول درس لغة روسية حضرته كان معي قاموس روسي عربي اشتريته قبل السفر حيث انتهت المدرسة وقالت لي باللغة الروسية كلمة أسمعها أول مرة ثم كتبت الكلمة على السبورة وبحثت عنها في القاموس وجدتها تعني "أحسننت".

أنهت سنتى الأولى بدراسة اللغة الروسية ودراسة اللغة عند الروس تختلف عن مثيلاتها حسب قناعتى الشخصية؛ لأنهم يجعلون الطالب الجديد الفطن يتحدث بلغتهم ويتدبر أمره خلال شهرين من خلال الاندماج التدريجى فى المجتمع، حيث منهج الدراسة كان حفظ كلمات ومصطلحات، وكل أسبوع هناك درس خارجى إلى السينما الناطقة باللغة الروسية أو إلى رياض الأطفال أو يأتي طلاب المتوسطة يجلسون معنا فى الصف وندردش معهم وفى السكن نكتب ما تعلمناه لنستمع إليه فى اليوم الثانى. مدرسة اللغة قالت لنا: إن تمكنتم من لغة البلد تمكنتم من العلوم جميعها بمحبة وتندمجون مع المجتمع. علماً أن المجتمع كان مرحباً جداً بالأجانب ومتعاوناً معهم.

فى سفارة بلدى سألنى شخص: أتتحدث الروسية؟ قلت له بثقة عالية: نعم، قال لى: ترجم للموظفة "أريد قياسات مدرجات الشقة"، الموظفة تمتت بعض الكلمات... ماذا يفعل بمدرجات الشقة التى يسكنها إنه مفروش بالكاريت. سألتها: من هو؟ قالت: إنه الملحق العسكرى، قلت له: سيدى ماذا تريد بالضبط من قياسات مدرجات الشقة؟ قال: لنعرف أى نوع من الطائرات يمكن أن تهبط فيه؛ لأن القياسات فى المطارات الثانوية تختلف عن... فهتمت أن المطار الثانوى يُسمى شقة ولكنها ليس سكنية.

بعد ذلك أخذت أراجع نفسى قبل أن أنقل الكلام للمتلقى، وأشعت مبدأ عدم الحياء من الاستفسار والتأكد قبل النطق وعلى الأخص فى المواضيع الحاكمة والعلوم التطبيقية والعقود الحكومية وحتى الأمور الخاصة جداً. متيقناً أن المترجم هو واسطة التفاهم والتقارب بين طرفين متلقين يثقون فيه دون أى مقدمات.

ثلاثة أشهر لنقل تكنولوجيا الجيل الرابع إلى العربية

كونى مهندس إلكترونى كُلفت مع بعض زملائى فى الاختصاصات الأخرى بالعمل فى مشروع المعدات التكنولوجية الجديدة (الجيل الرابع الرقمى) وبعد تدريب لثلاثة أشهر استطعنا أن نهضم التكنولوجيا كل حسب تخصصه، لكن المشكلة كيف نقلها إلى الناس الذين اختيروا للعمل معنا؟ لم نفكر طويلاً الجواب هو: نقلها بالكامل إلى العربية، طلبنا كافة المصادر، وبدأنا ملحمة الترجمة لتكنولوجيا ومعدات جديدة

مختزلة ثلاثة أجيال، أقول ملحمة بكل ثقة حيث أنهينا الترجمة بأقل من ثلاثة أشهر، وللأمانة كان هذا العمل ذا فائدة عظيمة لنا حيث تعرفنا بإسهاب على الجيل الرابع من التكنولوجيا. وقد أتاح لنا التعرف إلى المسميات التكنولوجية الرقمية الجديدة لأول مرة وتم ترجمتها وأضافنا ملحقاتاً بالمسميات الجديدة لكل تخصص ليأتي الناس للعمل دون مشاكل تتعلق باستيعاب وتشغيل التكنولوجيا الجديدة، وباعتراف الشركة المجهزة فإننا أول بلد يستوعب ويشغل هذا الجيل من التكنولوجيا الحديثة بوقت سوبر قياسي.

الحاسبة الروسية لأول مرة

انتقلت للعمل في أحد مراكز البحوث المتقدمة حيث يتمتع المهندس بمجال مفتوح للأبحاث التقنية وكوني مترجماً أيضاً كان مجال عملي فيه فضاء رحب. بدأ دخول الجيل الرابع من الحاسبات (P4) العاملة بنظام (Windows) وطبيعي كان الخيار مفتوحاً لي للحصول على الحاسبة حيث اخترت أعلى المواصفات وبعد أيام كنت أعمل على أول حاسبة تعمل بثلاث لغات (فيها اثنين من الأقراص الصلبة HD) وهي العربية - الإنجليزية والعربية - الروسية بعد تنزيل برنامج التشغيل (Windows) بلغة ثالثة وهي اللغة الروسية حيث اتخذت قراري باستخدام الحاسبة في الترجمة. ولكن برامج الترجمة غير متوفرة حتى في قسم اللغة الروسية في جامعة بغداد. البرنامج المتوفر "الوافي الذهبي" وهو لا يلبي الطموح.

طلبت تعيين مترجم لغة إنجليزية للعمل معي لتدوين معجم كلمات من العربي إلى الإنجليزي إلى الروسي وبالعكس. بعد إنجاز حوالي (400) مصطلح ومسمى علمي قام أحد المبرمجين بتحويله باستخدام برنامج "Fox Pro" إلى مترجم آلي متواضع وذلك باستخدام الماسح الضوئي (Scanner) حيث يقوم الماسح الضوئي بأخذ صورة الصفحة المطلوب ترجمتها ثم يتم نقل الصورة إلى الحاسبة كصورة رقمية، بعد ذلك بواسطة البرنامج الرائع (ABBYY Fine Reader) يتم تحويل الصورة إلى نص (Text Bridge) بصيغة Word. ويقوم المترجم الآلي في الحاسبة بترجمتها إلى أي لغة تختارها.

هذا يعني أن أي صفحة كتاب أو بحث مكتوبة على الورق أو محملة بصيغة رقمية

على قرص صلب أو قرص مرن يمكن ترجمتها إلى أي لغة محملة على الحاسوب. هذا العمل ينجز في بلدنا لأول مرة وكان قفزة نوعية تستحق الإعجاب والتأمل. لوحة المفاتيح بثلاث لغات (العربية والإنجليزية والروسية) تم إضافة حروف اللغة الروسية الثالثة عن طريق لصق حروف اللغة الثالثة على لوحة المفاتيح.

كانت هناك حركة واضحة للباحثين والمهندسين والأساتذة باتجاهنا وأصبحت العديد من المجلات العلمية الأجنبية لمختلف التخصصات رائجة التداول والتبادل بحثاً عن موضوع أو ترجمة بعض الصفحات، علماً أن الإنترنت لم يكن قد دخل إلى بلدنا.

قام أحد المسؤولين بزيارتنا وكالعادة ينظم معرضاً لكل جديد، وشيء طبيعي أن أشارك فيه أنا ومعداتي (الحاسبة والماسح الضوئي ولوحة المفاتيح والطابعة) وما إن شاهد الحاسبة باللغة الروسية جلس يتأمل ويحرك (الماوس) ولوحة المفاتيح وشاهد قاموسين ومعجماً على المنضدة، شرحت له الفكرة ففرح كثيراً وقال: كنت في زيارة إحدى الدول الصديقة وقاموا بإهدائنا قرصاً مدمجاً يحتوي هذه الفكرة سأهديه لكم ووجه المعنيين بفتح قسم للترجمة الآلية في المركز الذي أعمل فيه. بعد تحليل القرص المدمج تبين أن اثنتي عشرة دولة ساهمت بلغاتها الرسمية وعلمائها وأسنتها عدة سنوات بتفرغ تام لإنجازه وذلك بالاتفاق على المسميات العلمية لكل فروع العلوم التطبيقية والنظرية، العسكرية والمدنية، ولأول مرة ظهرت معاجم وقواميس تخصصية رقمية متاحة بكل يسر وهذا يعتبر إنجازاً نوعياً في فنون الترجمة بغض النظر عن الخصوصية الوطنية؛ لأن العلم يتجاوز هذه "الإشكاليات"، وقد نجحوا بذلك وهذا هو أحد عوامل تطوره المضطرد والذي يتجلى بوضوح في تناول جميع العلوم وتيسيرها بتفاهم تام. أدركت أن الأمم تتسابق في صراع العلوم وتبادلها وللأسف لم أجد فيه لغة الضاد.

بالنسبة للمترجم هذا التحول التخصصي أعطاه شمولية جعلته يسارع في التعرف إلى هذا الإنجاز من خلال التدريب على استخدام الحاسوب أولاً، والتعرف إلى إنجازات الحاسوب التطبيقية في الحياة ومنها الترجمة الآلية وتحويل الصورة إلى نص وشيئاً فشيئاً استخدام القواميس الإلكترونية، وفعلاً أصبح المترجم يجلس في مكان عمله أمام الحاسوب المحمل بثلاثة برامج تشغيل، بعد جهود كبيرة لإقناع

المعنيين بأن الترجمة دخلت باب المعلوماتية، بل إن المعلوماتية ما ظهرت بهذا الانفتاح والانتشار السريع والتداول السهل من أوسع أبوابها إلا بوجود مترجمين أكفاء في كل دول العالم. وقد نجحنا بفضل الله بتعميم هذا العمل في عموم المؤسسات ومراكز البحوث.

كان لمؤسسات الترجمة في الدول المتقدمة الدور الكبير في تطوير عمل الترجمة على مستوى العالم وجعل العالم "قرية صغيرة" من خلال إصدار وتعميم القواميس الإلكترونية المتخصصة لجميع فروع العلم وجعلها متداولة ومتاحة بسهولة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الترجمة عمل إنساني مجتمعي ثقافي وتقني يقف خلفه نخبة محترمة من المترجمين الكرام لهم مني كل المحبة والاحترام والتقدير.

جاءني أحد الأصدقاء وهو دكتور مهندس فيزياء للعمل معي على ترجمة كتاب علمي باللغة الروسية إلى العربية موسوم **فيزياء الشعاع الليزري العالي القدرة** وهو من الكتب النادرة والثمينة جداً الذي تفتقر له المكتبات العلمية العربية وغير العربية تأليف كل من البروفيسور كوروتيفيف والدكتور شوماي وبإشراف العالم الروسي الكبير إيخمانوف الذي يُعتبر أحد أعمدة ومنظري الليزر في العالم.

الكتاب يتميز بخصوصية تناول المدرسة الروسية العريقة في موضوع الليزر والتي ساهمت مساهمة كبيرة في اكتشاف وتطور الليزر منذ خمسينات القرن الماضي، وبذلك يتطرق إلى مواضيع لا نراها في الكتب الغربية، مع تغطية شاملة لجوانب الموضوع النظرية والعملية. المهم في هذا الكتاب وجود معجم تعريفي للمصطلحات العلمية النادرة في مواضيع الفيزياء والكم والرياضيات.

بدأنا العمل بمساعدة الحاسوب والماسح الضوئي وبرنامج الترجمة الآلية الرائع وقواميس الترجمة الإلكترونية، وهنا بدأت إشكاليات الترجمة الالكترونية، أحد هذه الإشكاليات الحاسوب يترجم بما لُقن من قواميس حسب التصنيف العلمي، ويستطيع أن يعطيك أي خيارات تفيدك، وهكذا ترجمنا النصوص العلمية الروسية إلى اللغة العربية أو الإنجليزية وبذلك تجاوزنا إحدى المعضلات ولكن المعادلات الرياضية والرموز والمختصرات كانت مشكلة؛ لأن الماسح الضوئي يتقبلها ولكن المترجم الآلي ينفر منها، الحل أمامنا هو العمل اليدوي خطوة بخطوة. أما الرسومات والمخططات

كانت تنجز يدوياً ثم تُحاكى مع الحاسوب، أنجزت الخمسون صفحة الأولى بوقت معقول قياساً إلى خطتي وهكذا تصاعدت آمالي بفائدة الحاسوب لهذا العمل.

حاولت إجراء تجارب ترجمة آلية لنصوص مختلفة لكن النتيجة كانت واحدة، الحاسوب يتعامل مع كلام صادر من تفكير وعقل إنساني بيد مبرمج لينجز أداءً معيناً بزمن معين كما يريد سيده؟ وهكذا استنتجنا أنه يمكن الاستفادة من الحاسوب بطريقة جلوس مترجمي لغات يتفوقون على نصوص ثابتة.

خلاصة القول: إن الحاسوب ربما لا يفيد في الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات العالمية الأخرى؛ لتعدد التصريف والنحو واللهجات وعدم وجود القواميس الإلكترونية العربية العلمية، ومعظم الكلام في العلوم أصله غير عربي، كما أن العرب لم يتفوقوا على توحيد المصطلحات العلمية فيما بينهم رغم المحاولات الكثيرة التي نسمعها، فما بالك بلغة كاملة؛ وللمثال أعطي كلمة واحدة وهي Modulation لها عدة مسميات (تضمنين، تعديل، تكييف... إلخ).

قمت مع بعض المهندسين بترجمة البحوث والنشرات المهمة من اللغة الروسية والإنجليزية إلى العربية حسب الحاجة، وبفضل الله أنجزنا الكثير من التراجم لمواضيع مهمة جداً وبزمن مثالي.

مفارقات تواجه جميع المترجمين في الشارع

يصادف المترجم العربي في البلدان الأجنبية الكثير من الإشكالات والمفارقات وخصوصاً مع القادمين الجدد والسياح، حيث يتوافدون إليك لطلب معونة أو ترجمة مسمى معين وللأمانة كنت أتحاشى هذا الموضوع، والسبب هو أن معظم مواطني بلداننا العربية تنقصهم ثقافة السياحة والسفر! ولم تظهر أجهزة الترجمة اليدوية والمحمول آنذاك وكان الناس يتجمعون حول من يجيد لغة ذلك البلد تجمعاً عشوائياً، والكل يريد أن تتفرغ له وأنت ذاهب إلى عملك وأغرب الحالات التي صادفتني هي من يطلب أن تترجم له أحاسيسه وهو يتسكع.

في أحد الأيام طلب مني أحد المهندسين الروس الذهاب معه إلى طبيب الأسنان وما إن دخلنا الغرفة قال الطبيب للمريض بلهجة عراقية "ها خويا خير"

ارتبك المهندس كثيراً وانزعج جداً ولكنه رد على الطبيب مشيراً إلى أحد أسنانه قائلاً: "زوب" بلغته الروسية، وهنا صُعبَ طبيب الأسنان من هذه الكلمة لولا أن تداركت الموقف لأوضح للأول أن كلمة خويا في اللهجة العراقية تعني أخي وكلمة زوب باللغة الروسية تعني "ضرس" علماً أن الكلمتين تعنيان مسمى آخر لا مجال لذكره، والشيء الغريب حين العودة كان المذيع يبث أحد روائع الراحلة فائزة أحمد (يا غالي عليا يا حبيبي يا خويا).

ختاماً أنحني تكريماً لكل من ساهم بالتعارف ويسر التقارب وضحى بحياته في الحروب وجعل العالم يتحول إلى قرية كبيرة يعيش فيها ناس يحبون الحياة بأمان وسلام وتفاهم وتنفّتح حدود البلدان للمحبة والسفر والسياحة والتعليم والاختلاط والتعاون وتبادل العلوم ويتنوع المجتمع وتتطور الحياة.

كما وأتقدم بشكري إلى لبنان بلد الثقافة بلد الجمال في كل شيء والسادة القائمين على هذا الجمع الطيب للمترجمين العرب الذي يديرون مهام التواصل مع العالم في كافة المجالات لجهود المنظمة وتواصلها معنا وتفانيها لإنجاح هذا المؤتمر.

